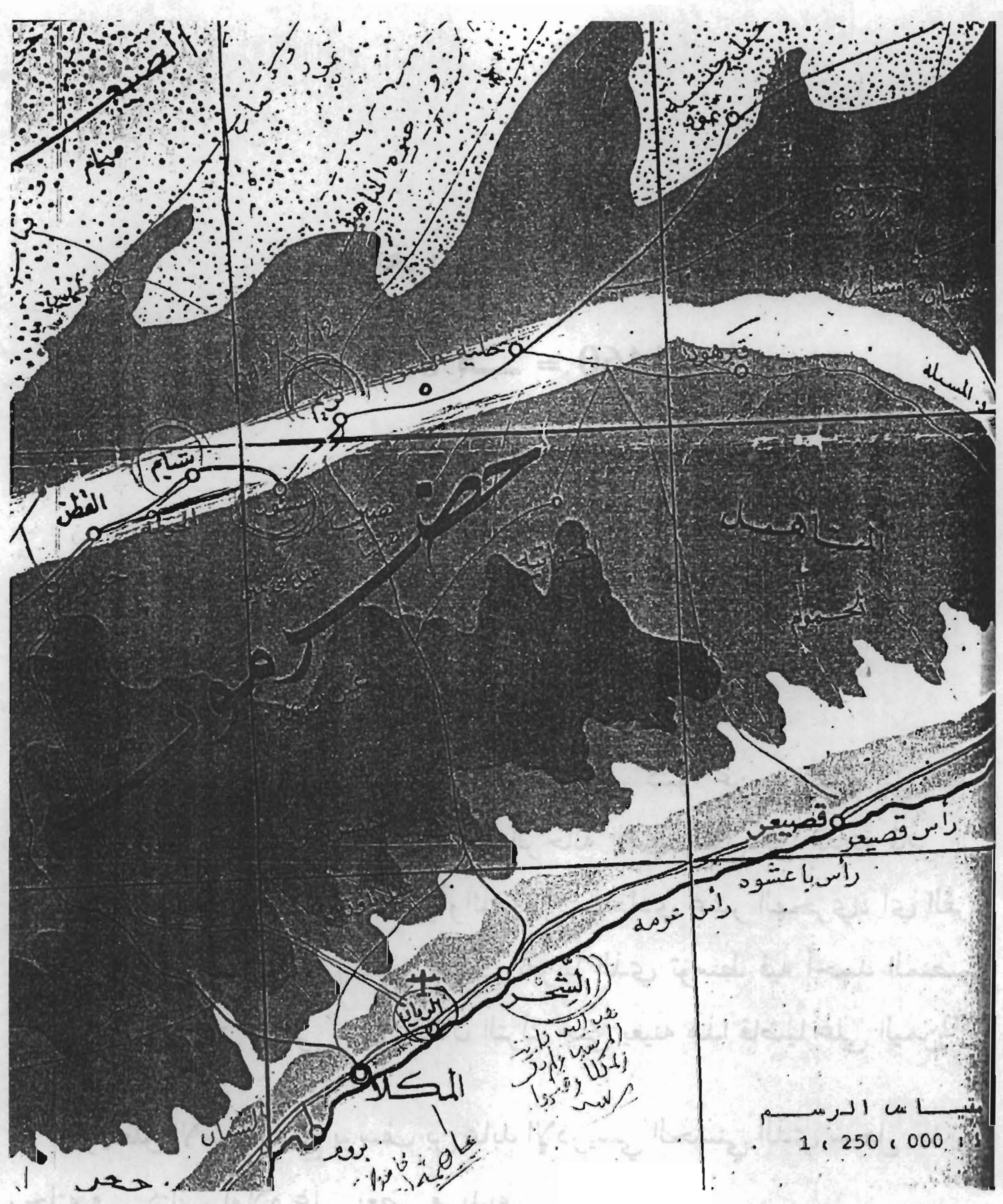
رحلة مغربي إلى حضْرموْت
عام 865 هـ = 1460 م

عبد الهادي التازي

كان فيمن عرفنا من الرحالة المغاربة الذين كتبوا عن رحلتهم إلى اليمن علاوة على ابن بطوطة، والتازي، ذلك الرحالة الذي انتقل من مدينة فاس إلى حضرموت في نهاية القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجري، أي القرن السادس عشر الميلادي في نفس الوقت تقريباً الذي توسط فيه أحمد المنصور الذهبي لابن العقاد المكي لدى خاقان الترك حتى يعينه هذا قاضياً على اليمن[1].

ويتعلق الأمر بالشيخ يوسف بن عابد الإدريسي الحسني الذي سجل حديث رحلته في كتاب أملاه على بعض مريديه.

وقد كان في أوائل من قدم هذه المخطوطة للقراء زميلنا العزيز الأستاذ علي سالم سعيد بكير الأمين الحالي لمكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة «تريم» بحضرموت[2] جنوب الربع الخالي من الجزيرة العربية.



وقد كان فيما رواه الأستاذ بكير أن ابن عابد هذا من مواليد منطقة أنگاد شرقي المغرب سنة خمس وستين وتسعمائة هجرية 1558م وأنه توجّه إلى فاس لطلب العلم بجامع القرويين، وسنه عشرون سنة، حيث سكن بيتاً له في المدرسة المصباحية وهي تقابل أحد أبواب الجامع الأعظم.

ومن المغرب ينتقل ابن عابد إلى مصر حيث يلتقي في الأزهر الشريف بعدد من مشاهير العلماء قبل أن يتوجه إلى مكة لأداء مناسك الحج وزيارة مدينة الرسول ﷺ، ومن مرسى جدة قصد حضرموت بواسطة أحد المراكب اليمنية المنتشرة بالمنطقة، في المحرم سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة = يناير 1584م حيث أرسى به المركب في بلدة حازان على ساحل البحر الأحمر، ومن هناك اتجه صحبة قافلة إلى أن انتهى إلى حضرموت : إلى قرية «عينات» جنوب شرقي مدينة «تريم» ليأخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم (ت 992=1584)، وقد لذّ لابن عابد المقام بحضرموت فتزوج وأنجب وسكن على مقربة من مدينة «سيؤن» في قرية تحمل اسم (مريمة) وبها أدركته الوفاة هناك عام أربع وأربعين وألف 1634م[3].

هذا ما يتصل برحلة ابن عابد باختصار، وقد اهتم ببعضها آخرون.[4] فهل هذا كل ما تتوفر عليه المكتبة اليمنية من رحلات مغربية ؟ ذاك ما أريد أن أخصص له هذا الحديث.

أثناء زيارة ودية للزميل العزيز والأستاذ الجليل عبد الله الحبشي في بيته بصنعاء (1992/9/9) تجاذبنا أطراف الحديث حول المخطوطات التي تتصل بالمغرب. كان حديثاً متنوعاً يسلمنا جانب منه إلى جانب آخر.

وفي معرض حديثنا عن رحلة يوسف بن عابد سالفة الذكر أهداني صورة منها مع تأليف آخر لابن عابد «الدرة الفاخرة فيمن لقيته من رجال الآخرة»، ثم أطلعني الأستاذ على صورة لرحلة أخرى كان تاريخها يسبق تاريخ رحلة ابن عابد بأكثر من قرن وربع القرن. وقد أحسن في الظن فطلب إلي أن اشتغل بها نحو ما فعلت بالمخطوطة اليمنية : «النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود

الفاجرة» لأحمد بن أبي الرجال[5]. ملفتا نظري إلى أن لها نسخاً أخرى في مكتبة الأحقاف بمدينة «تريم» في حضرموت.

بسم الله الرحمن الرحيم
هذه رحلتي الى مدينة تريم اختصرتها غاية الاختصار
وقد زاد اشتياقي الى هذه المدينة المباركة مدينة تريم والدي
رحمه الله الان رحلته كانت وانا في سن الطفولية فلما
ترعرعت وصرت احضر دروسه سمعته ذات يوم يذكر
رحلته الى حضرموت ويخصص بالذكر بلدا هناك اسمها
تريم وقد اغرق ذات يوم من الايام بتريم في وصفه لما عليه
الاشراف اهل البيت الطاهرين من العلم والعمل الساكنين
بتريم حتى بت من وصفه لهم اقول انهم بالملائكة اشبه فاثر
كلامه معي [illegible] كلما سنحت فرصة عاودته عن اخبار
رحلته وقد قلت له دونتم رحلتكم فقال لي قد دونتها
وما اتت عليه بعد ذلك الايام [illegible] ومن رحل الى دنيا
رحمه الله وتقد [illegible] بعد موته خطة هذه الرحلة فلم اعثر
عليها غير ان وصفه لاولئك الاشراف الطاهرين
المطهرين لا يزال يطن باذني مرارا كثيرة يخطر ببالي
ان ارحل الى تلك المدينة لزيارة من بها من العلماء
والاولياء من اهل البيت النبوي حتى عزمت على اداء
فريضة

صورة من الورقة الأولى من رحلة «المغربي
عن مخطوطة مكتبة الأحقاف بمدينة تَريم

ومنذئذ جعلت (الرحلة) في المحفظة التي تلازمني وأصبحت مشغلتي بل إنها كانت في صدر ما جعلني أصمّم على أن أرحل من صنعاء إلى حضرموت.

وهكذا ركبنا الطائرة(6) صباح السبت يوم ثاني عيد المولد = 12 شتنبر 1992 من صنعاء إلى «الريان» مطار «المكة» التي أصبحت عاصمة محافظة حضرموت.

ومن «الريان» أخذنا طائرة أخرى في اتجاه الشمال نحو مدينة «سيؤن» التي اشتهرت بكثرة مساجدها ومعالمها.

وفي صباح اليوم الموالي وهو (الجمعة) اتجهنا بالسيارة نحو مدينة «تريم»التاريخية.

وتعتبر مكتبتها (الأحقاف) منجما ثريا بالمخطوطات التي تتناول سائر حقول المعرفة من علوم القرآن والحديث والسيرة النبوية وعلم الكلام والفقه وأصوله وعلم الفرائض والمواريث والتصوف والأدب وعلوم اللغة والبيان والنحو والتاريخ وعلم الفلك والمسافة والحساب إلى جانب العلوم البحثة وعلوم السياسة ونظام الدواوين.

وهناك، وجدنا أنفسنا مع رجال علم وفضل يحيطون بنا، وإن المرء ليشعر بأنهم يرغبون في تقديم المساعدة إليه بكل ما يملكونه.

كانت مناسبة لتبادل الحديث مع السيدين الفاضلين : حسين أحمد عبد الله الكاف، والسيد عبد القادر بن سالم بن شهاب، وكلاهما يعمل مساعدا لمحافظ

المكتبة الأستاذ الجليل علي سالم سعيد بكير الذي لم يلبث أن عاد من مدينة «سيئون» على دراجته النارية.

جولة ممتعة في سجلات المخطوطات التي تحتضنها (مكتبة الاحقاف) هذه. وقد كان علي أن أركز على المخطوطات التي تتصل بالمغرب ومنها «رحلة المغربي إلى حضرموت» التي تمت قبل رحلة ابن عابد بنحو سبع وعشرين ومائة سنة على ما أسلفنا.

وقد وجدت فعلا مخطوطة ثانية للرحلة بعنوان : «هذه رحلة المغربي الذي خرج من بلده لزيارة بلد «تريم» وهي تحمل رقم 2883 وقد كان الفراغ من كتابتها صباح الجمعة 14 ربيع الثاني عام 1337 = (17 يناير 1919) بقلم شيخ بن عبد الله بن سالم السري.

وقد كانت المخطوطة التي أهداها إلي الزميل الحبشي تحمل عنوانا هكذا : «بذل النحلة لمن يحب الناصحين الكرام الأجلة بذكر ما أودعه المغربي من شمائل تريم وأهلها في الرحلة».

وإذا كانت مخطوطة (تريم) لم تشر للأصل الذي استقت منه النص فإن مخطوطة الحبشي تنص في الصفحة الأولى على أن المخطوطة كانت نقلا عن الصفحات الأخيرة لكتاب «صلة الأهل». للشيخ محمد بن عوض بافضل المتوفى بعد سنة 1369=1950.[7]

وقد أسلمني هذ التعليق إلى مخطوطة «صلة الأهل بتدوين مناقب آل أبي فضل». التي كان لها أيضا اسم ثان : جمع الشمل، للمتفرق من مناقب آل أبي فضل نسبة إلى العارف بالله فضل بن عبد الله بافضل.

وهنا وقفت في الصفحة 488 من المخطوط على تمهيد لذكر الرحلة جاء فيه ما يلي :

(ومن فضلاء بني فضل وأتقيائهم رجل كثير فضله وعلمه، مجهول إسمه، صحب الإمام العارف بالله محمد بن أحمد أحد كبار سادتنا العلويين ورافقه في ذهابه إلى الحج وإيابه إلى مدينة «تريم»، وحين قفلا من الحج رافقهما إلى بلدهما أحد علماء المغرب، فدون رحلة لطيفة ذكر فيها بعض ما رآه من حالهما في السفر، ثم ما شاهده بتريم من أحوال سكانها السادات العلويين ومن جاورهم من الصالحين، فاستحسنت إيرادها برمتها لنفاستها وعظم فائدتها، ولدلالتها على ما يخفى على الكثير من الناس، من صفات أولئك الأكياس، وجعلتها لهذا المؤلف مسك الختام وبدر التمام، وتاريخ هذه الرحلة كان سنة خمس وستين وثمانمائة من السنة التي توفي فيها سلطان الملا، وإكليل تاج العلا سيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس[8]، ويحتمل أن يكون الشيخ جمال الدين محمد ابن الفقيه عبد الله به فضل بالحاج[9] هو الذي حج في ذلك الوقت. وعلى كل حال فالقصد نشر المحاسن المطوية، وإظهار القضايا الخفية لينتفع بها الموفقون من البرية، وقد قرئت على الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي[10]، فاغتبط بها وذاكر عليها، وقرئت مرارا كذلك على سيدي الإمام أحمد بن الحسن العطاس (ت 1334=1915)[11] فأيدها وتكلم في شأنها، وأوصى بالتمسك بما فيها، ومن كلامه رضي الله عنه قوله : «لاحت لي بارقة في شأن رحلة المغربي إلى تريم، وقد وقع فيها بعض تحريف في حيثية الأسماء والمعرفة لا من حيث الوقوع. وتخيل لي المجلس كله ودخوله على السيد إلى آخرها. وأهل الباطن شالين ؟ القصبة معهم بجيئون بخبز من المخبأ والمغبأ، والذي ما يوافق كشفهم الصريح المطلق ما يقبلونه، ولو اجتمعوا (كذا) عليه جميع القائلين».

قلت : وفي كلامه هذا أبلغ ردع لمن أنكرها ولم يثق بصحة نقلها، (إذا قالت حذام فصدقوها)[12]، خصوصا والمتكلم على نور من ربه وناظر بعين قلبه انتهى. وهذه هي الرحلة المشار إليها.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه رحلتي إلى مدينة «تريم». وبعد أن يورد نصها كاملا يختم المغربي حديثه بالأخبار بأن والده دون رحلته أيضا إلى حضرموت وأنه كان يحيل عليها إلا أن الولد - بعد وفاة والده - فتش عنها بين الكتب لم يظفر بها.

وبالرجوع إلى مخطوطة صنعاء، وجدت أنها تقتبس من كتاب «صلة الاهل» وتجعل لها مقدمة مقتبسة من التمهيد السالف الذكر، فجاءت المقدمة على هذا النحو :

هذه رحلة رجل صالح مغربي رحل بعد الحج والزيارة من بندر جدة في صحبة سيد شريف من أكابر السادة العلويين إسمه محمد بن أحمد، وشيخ جليل من صلحاء آل أبي فضل، عام خمسة وستين وثمانمائة وهو العام الذي توفي فيه سيدنا الإمام سلطان الملا عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وقد قرئت على سيدنا الحبيب الإمام علي بن محمد ابن حسين الحبشي فاغتبط بها وذاكر عليها، وقرئت مرارا عديدة على الحبيب الإمام أحمد بن حسين بن عبد الله العطاس فأيدها وتكلم في شأنها وأوصى بالتمسك بما فيها، وقال : لاحت لي بارقة في شأن رحلة المغربي إلى «تريم»، وقد وقع فيها بعض تحريف في حيثية الأسماء والمعرفة. من حيث الوقوع إلى آخر ما ورد في النص السابق. انتهى كلامه رضي الله عنه. قال : وهذا أوان الشروع في الرحلة، قال الشيخ المغربي رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم : هذه رحلتي إلى مدينة «تريم».

جانب من مخطوطة (صلة الأهل) المحفوظة في مكتبة الأحقاف بمدينة «تريم» ونجد فيها أن الرحلة قرئت مرارا عديدة على الإمام أحمد ابن حسن العطاس فأيدها وأوصى بالتمسك بما فيها

وقد كان مما أثار انتباهي في ذلك (التمهيد) من كتاب «صلة الأهل» ما ورد في شهادة الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس (ت 1334=1916) حول «التَحريف المرتكب في الأسماء من لدن الرحالة المغربي». وخاصة ما تبع ذلك (التمهيد) من (تعليق) للشيخ محمد عوض بافضل يشير فيه إلى وجود من «أنكر الرحلة ولم يثق بصحتها !» وهنا كانت لي جولة أخرى من البحث حول هذا الموضوع الذي أصبح بالنسبة إلي مثيراً وملذا في ذات الوقت.

في تأليفه بعنوان «أدوار التاريخ الحضرمي» يتعرض الأستاذ محمد بن أحمد بن عمر الشاطري للحالة الاقتصادية في حضرموت أثناء القرن التاسع عندما كانت تحت حكم الدولة الكثيرية الأولى الذي استمر ثلاثة قرون أو تزيد. فيؤكد - اعتمادا على «رحلة المغربي إلى تريم»، موضوع حديثنا - أنهم أي الحضارمة - في عهد هذه الدولة - كانوا يتوفرون على الاكتفاء الذاتي - وأنهم نتيجة لذلك يتمتعون بالاستقلال الاقتصادي الحقيقي(13).

وقد كان يشير بذلك - على ما سنرى - إلى ما ورد في ثنايا الرحلة من أن الناس في حضرموت كانوا لا يستوردون غير إبر الخياطة وموسى الحلاقة وكحل العيون.

يضاف إلى هذا أن الأستاذ الشاطري - وهو في معرض الحديث عن الحياة الاجتماعية في المدينة، وأن القوم كانوا فيها مثلا في السلوك والاستقامة، والتبتل والقناعة، أعجبته العبارة التي أجمل فيها ذلك المغربي الهوية التي تميزت بها المدينة، وكانت هذه العبارة : «إنهم أي أهل تريم بالملائكة أشبه» التي ظل المغربي يرددها والتي نالت من الأستاذ الشاطري حظها في وجدانه(14).

وإلى هنا كان كل شيء على ما يرام بيد أن الأستاذ الشاطري بعد أن استفاد من النص واستغله لأطروحته - أتى بتعليق في هامش تأليفه المذكور - أقول

في الهامش - كان قصد به أن يوثق من جهة نقله عن الحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية لكتبه في نفس الوقت طرح سؤال من شأنه أن يضعف أطروحته.

وهكذا فبعد أن أكد الأستاذ الشاطري وجود رحلة منتشرة بين الناس تسمى (رحلة المغربي) تشتمل على وصف لحضرموت في القرن التاسع تقريبا. ويشير فيها صاحبها إلى الاكتفاء الذاتي والوضع الاجتماعي، بعد ذلك يطرح هذا السؤال : هل الرحلة المغربية حقيقة أم (رواية خيالية ؟) ثم يتولى الشاطري نفسه الجواب، فيذكر أن الناس اختلفوا، فمنهم من قال بأن الرحلة حقيقية، وأن نصوصها رحلت من المغرب بواسطة أحد الأشراف الأدارسة إلى حضرموت[15] لكن في الناس - يتابع الشاطري كلامه - من قال : إن واضعها هو السيد حسن بن علوي ابن شهاب وأنه جعلها على لسان المغربي ليكون محتواها أدعى لقبولها. ويضيف الشاطري إلى هذا أن الأستاذ محمد بن هاشم[16] - رحمه الله - أخبره بأن السيد حسن بن علوي ابن شهاب أخبره بأنه هو الذي وضعها. لكن الشاطري - بالرغم من كل هذا استند إلى الرحلة فيما نقله عن الاكتفاء الذاتي. وعن الوضع الاجتماعي واختتم تعليقه كما ابتدأه، أي إنه يريد أن يجمع بين بعض المعلومات التي تتضمنها الرحلة وبين ما رواه عن ابن هاشم. قال بالحرف : ويدل الغموض والإجمال والمبالغة في بعض الجوانب على أنها موضوعة لكن من أحسن ما قال مؤلفها فيها عن السلف الصالح بتريم أنهم بالملائكة أشبه...».

وقد دفعني الفضول إلى ملاحقة السيد حسن بن علوي بن شهاب، فمن يكون هذا السيد الذي قالوا عنه : إنه واضع الرحلة ؟

يحكي عنه أهل تريم أنه كان من رجالات العلم، وأنه كان من المدرسين برباطها أي معهدها العلمي الشهير، قبل أن ينتقل إلى سنغفورة.

وقد أنشأ له هناك في سنغفورة جريدة سماها «الوطن»، وأنشأ رسالة وجهها إلى أهل حضرموت يطالب فيها بتطوير التعليم سماها «نحلة الوطن» فأثارت ضجة كبرى في الأوساط الحضرمية المحافظة وعارضه المشايخ فكتب بعضهم رسالة أسماها «إتحاف أهل القبلة في الرد على صاحب النحلة». وعلى هذا وقع الرد بتأليف : «الإنصاف بين النحلة والإتحاف».

قال بعضهم : ولما قرر ابن شهاب أن يعود في الأخير إلى وطنه (حضرموت) فكر في طريقة يسترضي بها مواطنيه الحضارمة، فوضع هذه «الرحلة» ونسبها إلى مغربي مجهول قاصدا إلى نشر محاسن السابقين ليكسب عطف اللاحقين : وقد أدركه أجله في «تريم» عام 1332=1914.

وقد سألت الأستاذ بكير أمين مكتبة الأحقاف للمخطوطات عما يعتقده فاكتفى بإحالتي على ما قاله هو في حديث له استشهد فيه بما ورد في كتاب «أدوار التاريخ الحضرمي» سالف الذكر.

ولعل مما بث الشك في بعض الناس ما أورده الزركلي في ترجمة ابن شهاب من أنه نسب تأليفه «الإنصاف...» إلى أحد الأزهريين[17]. وعلى نحو ما اقترحه علي الأستاذ الحبشي في صنعاء، قال الأستاذ بكير : الآن ونحن مع قاضي مغربي، فإننا نرجو أن يساعدنا على تحقيق المناط حول الموضوع الذي انقسم الناس فيه على فئتين. فعلا كنت أقرأ هذا الخلاف على وجود زملائي الذين كانوا يتحدثون إلي :

وإن في أبرز ما أطمعني في محاولة الاستجابة إلى رغبة زملائي أن «المغربي» الذي دوّن الرحلة المذكورة عام 865=1460م قام أكثر من مرة بمقارنات ومفارقات في بعض العادات وبين المغرب وبين حضرموت.

لقد أفاد أن والده كان على نصيب من العلم وأنه سمع منه ذات يوم أثناء إملاء الدرس أشياء كثيرة عن حضرموت وبخاصة مدينة تريم التي تحتضن عددا كبيرا من الأشراف العلويين أضفى عليهم والده وصفا جميلا وعلق بذهنه فكرره مرارا في الرحلة، فلقد قال الوالد عنهم : «إنهم بالملائكة أشبه» ويظهر أن اغراق الوالد في وصف جضرموت وأهل حضرموت دفع بالولد إلى أن يسأل والده : هل ما إذا كان دوَّن رحلته تلك ؟ وهو السؤال الذي أجاب عنه الوالد بنعم.

وقد كانت خيبة الولد شديدة عندما لم يعثر على نصوص الرحلة بعد وفاة والده.

وعندما سمحت ظروف الولد بالقيام بمناسك الحج، قصد مدينة «جدة» وهناك أخذ يسأل عن الطريق التي يمكن أن توصله إلى حضرموت وقد استفاد من المعلومات التي قدمها له أحد معارف والده.

وانتظر السفينة الذاهبة من ميناء جدة إلى ميناء الشحر ليأخذ مكانه ضمن الحجاج العائدين إلى اليمن. كان على المركب أن يخترق البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب مرورا بميناء «المخا» ليجتاز مضيق باب المندب ثم ليقطع خليج عدن ويقصد ميناء الشحر. القريب من المكلا.

وهناك أخذ يبحث عن أهل تريم التي كان يسمع بها من والده. فتعرف على شخصين إثنين كانا مفتاحه للوصول إلى المدينة، كان أولهما أحد أشراف المدينة، وهو : محمد بن أحمد والثاني تلميذه الشيخ بافضل.

وقد ركز «المغربي» اهتمامه على السيدين المذكورين. وهنا قدم وصفا دقيقا للشريف الذي كان ذا تؤدة وسكينة. إن الحجاج كانوا يتسابقون لخدمته وتقديم القهوة والكعك له في الصباح. ثم يتناهبون ما يفضل عنه تبركا به. وقد استيقظ المغربي ذات ليلة فوقع بصره على الاثنين يتدارسان القرآن واستيقظ ثانية ليجد الاثنين على حالهما الأول فاستمر يقظا يراقبهما حتى طلوع الفجر حيث أذن الشيخ بافضل وأم الشريف بالناس قبل أن يستأنف الاثنان مدارسة القرآن.

لقد أمضى الركاب سبعة أيام بين ميناء جدة وبين ميناء الشحر، ومن الغريب أنه بالرغم من مرور كل تلك المدة على متن المركب، فإن المغربي لم يجرؤ على تقديم نفسه للسيدين المذكورين اللذين - بدورهما - لم يكونا فضوليين فيسألا الغريب عن اسمه وأصله ووجهته.

وقد لفت نظر المغربي المتاع الذي يحمله الفريقان والذي لم يكن يتجاوز طردا واحدا، كانت الكتب أهم ما في ذلك الطرد الذي كان يحمله الشيخ بافضل على كتفه.

وتبع «المغربي» السيدين المذكورين حتى وصلا إلى بيت في ذلك الميناء، فدخله الشريف صحبة رفيقه من غير أن يلتفتا معا إلى هذا المغربي.

وقد وقعت عين المغربي على مسجد قريب من البيت فقصده واستراح بصحبته، فغشيه النوم. ولما استيقظ لمح الشيخ بافضل فاتجه إليه يسأله عن الشريف الذي كان هناك موجودا بالمسجد ينتظر صلاة الظهر، وبعد أداء الفريضة سمع رجلا يقول للشريف : هيا بنا نعود للبيت.

بذل النحلة لمن يحب الناصحين الكرام الأجلة
(بذكر ما أودعه المغربي من شمائل تريم وأهلها في الرحلة)

غلاف مخطوطة صنعاء التي أهديت لي يوم 9-9-1992، ويلاحظ أنها تحمل هذا العنوان :
(بذل النحلة، لمن يحب الناصحين الكرام الأجلة بذكر ما أودعه المغربي
من شمائل تَريم وأهلها في الرحلة).

فعرف أن هذا الرجل هو صاحب البيت. وهنا سأله أحدهم : متى وصلتم إلى الميناء ؟ فأجابه بأنه جاء مع مولانا الشريف ومع الشيخ. فوجهت له الدعوة ليصحبهما إلى البيت، فلبى الطلب، وسره جذا أنه عندما وقعت عليه عينا الشريف تبسم له وقال : أهلا بصاحبنا في السفر. وهنا جرؤ المغربي على مخاطبة الشريف بقوله : وسأرافقكم إلى «تريم». وكانت فرصة أن يحكي المغربي عن رحلة والده وعن أمنيته هو في أن يقف على ما وقف عليه والده. فأجابه الشريف : تظفرون بما أملتم إن شاء الله.

ولما كان في حديث خاص مع الشيخ بافضل أخبره بأنه يحج لأول مرة أداء للفرض، وهنا سمح المغربي لنفسه أن يلقي سؤالا على بافضل : وهل إن هذه هي حجته الأولى ؟ فأجابه الشيخ بأنها ليست حجته الأولى، وأنهم يحجون هذه المرة نيابة عن غيرهم في مقابل أجرة تسلماها، فسأله المغربي عن قدر تلك الأجرة، فأجابه : بأن الشريف استؤجر للحج والزيارة بحصة من العملة الرائجة حددها الشيخ با فضل للرحالة المغربي بالعدد والنوع والوصف. أما غير

الشريف فإنما يتقاضى تقريبا نصف ما يتقاضاه الشريف عددا ونوعا ووصفا على ما سنقرأه في النص.

لقد أقاموا بميناء الشجر أربعة أيام قبل أن يقصدوا مدينة «تريم» مع قافلة من الحماله. وكان عليهم أن يقضوا أسبوعا كاملا قبل أن يصلوا إلى محطة بضاحية المدينة حيث بعث الشريف من أخبر أهل «تريم» بمقدمه. وهنا توالت وفود الأشراف الذين كانوا يتهافتون عليهم طالبين منهم الدعاء.

وقبل الوصول إلى بيت الشريف اقترح الشيخ بافضل على «المغربي» أن ينزل عنده فأجابه المغربي بأنه يفضل أن ينزل في مسجد قريب من بيت الشريف. وهنا أرسله صحبة غلام له إلى مسجد بني أحمد. وفي مسجد بني أحمد هذا أخذ المغربي فكرة عن اهتمامات أهل مدينة «تريم» عندما ظلت عينه لا تقع إلا على العابدين الذاكرين. وهنا ذكر أن كتاب «إحياء علوم الدين» للامام الغزالي كان من بين المواد المتناولة. وهناك تذكر من جديد قولة والده : إن أهل تريم بالملائكة أشبه !

وقد كان المغربي يعتقد أن هذه المجالس ستنتهي بصلاة العشاء، لكنه فوجئ بأن الأمور عادت إلى ما كانت عليه من دروس وغيرها. وقد ورد عليه الشيخ بافضل يطلب إليه أن يلتحق ببيت الشريف لتناول ما تيسر، فأجاب المغربي بأنه جاء إلى تريم ليمتع نفسه بمثل هذه المشاهد، فأفهمه الشيخ بأن في هؤلاء الناس من لا يعود إلى بيته إلا بعد أن يصلي الضحى. ودخلنا البيت الذي كان يضم بعض الأشراف وهنا حضر الطعام الذي كان يتألف من خبز الذرة مع بعض المرق.

وقد أفهم الشريف ضيفه المغربي بأن الإقامة في تريم لا تصفو إلا بالقناعة وميسور العيش كما تحدث إليه عن وجود رجال في تريم يطوون الأشهر لا يذوقون فيها غير الأسودين التمر والماء.

وبعد أن خرج الجميع استأذنت – يقول منشئ الرحلة – الشريف في العودة إلى الجامع فأجابني : إن أردت أن تنام فاذهب إلى المسجد ! فعلا ظل المسجد حيا بمن فيه من العباد والمتبتلين الذين لا يفتأون يترددون على المسجد بمصابيحهم ومصاحفهم. وهنا تذكر مرة أخرى قول والده : «إنهم بالملائكة أشبه» !

إن المسجد في حركة دائمة، وما تنتهي حلقة إلا إلى حلقة أخرى. وأخذ المغربي يتساءل : هل هناك مسجد على وجه الأرض على نحو هذا المسجد.

وقد قدر للمغربي أن يحضر مظهرا من الحياة الاجتماعية مما يعبر عن مركز الأشراف هناك. لقد وقع الإعلان في المسجد عن وفاة أحد رجال الفضل بالمدينة. وطلب من الناس أن يقرأوا الفاتحة على روح الشريف أحمد بن أبي بكر. وصدر الأمر لأحد الحاضرين يحمل اسم عبد الرحمن بأن يسرع إلى المسجد الذي كان يؤم فيه ذلك المتوفى. ويطلب إلى الحاضرين أن يقدموا للصلاة بهم الشيخ باغشير في انتظار أن يعين لهم إمام جديد. وكان أحمد بن أبي بكر هذا يؤم بالناس الصلوات الخمس في مسجد من مساجد آبائه.

وقد لاحظ الرحالة المغربي أن أداء صلاة الصبح أيضا يعني انصراف الناس لمشاغلهم اليومية. ولكنه يعني بداية نشاط علمي جديد. فقد افتتح مجلس لتدرس شمائل الإمام الترمذي ولم يتوقف الشيخ عن درسه إلا للاستعداد للذهاب لتشييع جنازة الشيخ أحمد ابن أبي بكر.

وقد أخذ الشيخ بافضل ضيفه «المغربي» إلى بيت الشريف لتناول الفطور الذي كان يتألف من القهوة وخبز الذرة.

وذهب المغربي صحبة الشريف لحضور الجنازة، وهنا شاهد عادات خروج الجنازة، ولاحظ كيف أن الأسرة تهيمن على مشاعرها فلا نواح ولا صياح وإنما هو الاستسلام لقضاء الله. وقد أمكنه مع هذا أن يحضر ما يمكن أن نسميه حفلة التأبين.

فقد قام شاب من الأشراف لا يتجاوز السابعة عشرة وهو الذي كان صلى بالناس. وذكر أن خاله السيد أحمد بن أبي بكر انتقل إلى جوار ربه، وهو الذي عهد له بأن يصلي بالناس عليه. وطلب منه أن يطلب من الحاضرين الدعاء والمسامحة وأنه يوصيكم بتقوى الله. وأضاف إلى هذا نصيحة توجه بها إلى أهل البيت خاصة : وهي أن يبتعدوا عن مخالطة أضدادهم. وقد حرص «المغربي» على أن يأتي بالنص الكامل لهذه النصيحة التي وجد فيها ما يفسر السر في احتفاظ المدينة بخصائصها وفضائلها. إن مدار التربية على أن لا يخالط الصالح الفاسد، وأنه لكي تحقق هذه النصيحة يجب أن لا يهمل الآباء واجبهم ويتركوا ابنهم يخالط أضداده. ولما جلس قام آخر ليثني على أهمية عدم السماح بمخالطة المرء لمن يشعر أنه يفترق معه في الخصال والسلوك.

وفي طريقه إلى الشيخ بافضل أدى وصفا مختصرا لطريقة بناء البيوت في تريم بواسطة اللبنات المتكونة من التراب المخلوط بالتبن.

وقد جرى حديث بين المغربي وبين الشيخ بافضل في بيت هذا الأخير : سأل المغربي مستضيفه عن المذهب الذي يتبعه أهل تريم وعن طريقتهم في تربية أبنائهم.

وهكذا فبعد أن أكد الشيخ بافضل لضيفه أن الطريق المتبع في البلاد ليس إلا المذهب المرتكز على كتاب الله وسنة رسول الله وقال له : إنهم حريصون جدا على أن تترجم أعمالهم عما يرددونه من أقوال. أي إنهم يطبقون العلم على العمل، أكثر من هذا وأحسن أننا سمعنا من الشيخ بافضل عن فكره التربوي الذي وجد فيه المغربي ما يدعو لتسجيله كاملا.

إن الحضارمة يربون أولادهم باحتفاظهم بهم في بيوتهم ويعلمونهم بأفعالهم قبل أقوالهم. وربما منعوا أولادهم من الذهاب إلى حضور مجالس المدرسين الذين هم على غاية من الاستقامة والكمال خوفا عليهم من لقاء بعض أضدادهم أثناء الذهاب والإياب في الطريق.

وبمناسبة تناول القهوة مع الشيخ بافضل. سأله المغربي : عن المكان الذي تجلب منه القهوة ؟ فأجابه بأفضل : بأنها من اليمن. فسمح المغربي لنفسه بإلقاء المزيد من الأسئلة : وهل إن باقي المواد يؤتى بها كذلك من اليمن ؟ فأجابه : لا... إن أغلب ما نحتاج إليه هو من بلادنا إلا ثلاثة أشياء : الإبرة والموسى والكحل هذه البضاعات تأتينا مع الحجاج. فسأله عن الثياب ؟ فأجابه بأنها أيضا من صنع اليمنيين، بل إنها تزيد عن الحاجة، ولذلك فإن تجارنا يذهبون بها إلى اليمن معاوضة بالبن. وهنا سأله المغربي عن السكة التي تضرب في البلاد ويتعامل بها الحضارمة في أخذهم وعطائهم. فأجابه : إن أكثر المعاملة إنما تتم مقايضة بالقمح أو الذرة أو التمر، ولم يكتم بافضل أن هناك عملة مضروبة يتعامل بها ولكنها قليلة جدا، وأن بعض الناس فقط هم الذين يتوفرون عليها، وهي تتميز بنقش فيها يحمل اسم الجلالة، وهنا يضيف بافضل معلومة تتصل بالعملة الرائجة (الريال) على نحو ما سبق عندما كان يتحدث عن الأجور التي يتقاضاها الذين

يحجون نيابة عن غيرهم. وعلى ما سنرى في النص. وسأله المغربي وكيف السبيل إلى تكسير الدينار، فأجابه : لا وجود للدينار عندنا.

وبعد هذا أتيحت الفرصة للمغربي أن يحضر مشهدا آخر لم يعتد حضوره ولا حتى السماع به، ذلك تنصيب الإمام الذي يعوض ذلك الإمام المتوفى الذي حضر جنازته.

فعلا راح صحبة الشيخ بافضل إلى المسجد المقصود حيث حضر جمع غفير من الأشراف وغيرهم من المصلين، وبعد أن تقدم أحد الأشراف فصلى بالناس الظهر، قام أحدهم فأبّن من جديد أحمد بن أبي بكر الذي - كما قال - مضت عليه إثنتان وخمسون سنة وهو محافظ على الجماعة. لم يتأخر عن واجبه إلا لعذر شرعي. ولقد قالت عنه أخته مريم بحضرة كثير من الشريفات : إن أخاها ما شبع قط اختيارا. وأنه كان لا يعرف النوم في رمضان إلا إذا طلعت الشمس وصلى الضحى. وأنه يستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويستأنف عبادته إلى اليوم الموالي. وإنما يتابع ذلك الأحد كلامه - اجتمعنا هنا لتعيين واحد منكم يقوم بوظيفة الإمامة وفيكم الكفاية والأهل، فأجابه أحد الحاضرين من الأشراف، وهو عبد الله بقوله : إن المحافظين على صلاة الجماعة بهذا المسجد لا يقلون عن خمسة وعشرين من أبنائكم وفيهم تسعة من العلماء العاملين المدرسين، فعينوا أنتم منهم من تحبون. فأجابه أحدهم بأن عبد الله هذا أحق بالإمامة من الجميع. وأخذ القوم يتدافعون تلك الوظيفة حتى انتهى الأمر إلى القرعة : فاقترعوا فخرجت القرعة على الشريف عبد الله. وهنا قرأت الفاتحة وختم المجلس بالدعاء.

وقد رأى «المغربي» في هذه التسوية أمراً جديداً عليه فأخبره الشيخ بافضل بأن الوظيفة في بلاده تكليف بصحبة أجر معلوم.

وقصد المغربي مسجداً آخر لينتظر فيه الشيخ بافضل، وهنا يشهد لقطة أخرى تمثل نشاط الحياة العلمية في المدينة، ويتعلق الأمر بأستاذ لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره يتصدر حلقة فيها المراهقون والكهول والشيوخ. وأمامه من نسميه في المغرب «بالسارد» أو النقيب كما يسميه ابن جماعة. وكان هذا السارد بالصدفة شيخا يسرد ما تيسر من الكتاب ويسكت فيتحرك البحر الخضم فيلقي ما يلقي.

ويحكي هنا عن حادثة وقعت في أعقاب هذا الدرس، فقد رفض أحد الحاضرين شرب القهوة التي قدمت إليه رغم حبه لها وذلك مجاهدة لنفسه وتربية لإرادته. وتنتهي هذه الحادثة إلى درس قوي في آثار الإرادة عندما تكون صادقة. وأن المرء يجب أن يتخلص من عبودية أية شهوة أو نشوة، حتى ولو كانت قهوة، وحتى لو كانت قهقهة.

وقد كان من أروع ما نقله «المغربي» عن ذلك الأستاذ الفتى. نظرية «تربوية أخرى ذكرتني فيما نسمعه من مختلف المربين كيفما كانت حيثياتهم – وعلى اختلاف أزمانهم ومراتبهم ومشاربهم – عن الدور العظيم الذي يمكن أن تؤديه القدوة التي تشاهد بالبصر وليست التي تسمع بالآذان.

فلقد عرف ذلك الأستاذ الفتى كيف يقنع مستمعيه بأن عيون الصبيان – وليس آذانهم – هي المنفذ الواسع الذي يتلقى منه الصبي، ويقول ذلك الفتى إن ما يتعلمه الصبيان عن طريق المشاهدة من أفعال آبائهم وأمهاتهم وممن يختلطون بهم في صغرهم ينتفعون به انتفاعا عظيما أو يتضررون به ضررا عظيما، ولا كذلك ما يسمعونه بآذانهم، فإن ما يرونه رؤيا عين يقلدونه إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا – فصلاح أولادنا متوقف على ما يشاهدونه في بيتهم الذي تربوا

فيه، وسلوكنا يظهر فيما يراه أولادنا من أفعالنا اليومية. وهم قد ينسون ما سمعوه بآذانهم ولكنهم لا ينسون ما شاهدوه بأعينهم، والآباء والمعلمون عاجزون عن تحريك الناس للعمل ما لم يكونوا هم من أهل العمل، وما نشاهده من الصلاح في أكثر إخواننا أهل البيت إنما حصل لهم من مشاهدة آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم الصالحين الذين تربوا بينهم.

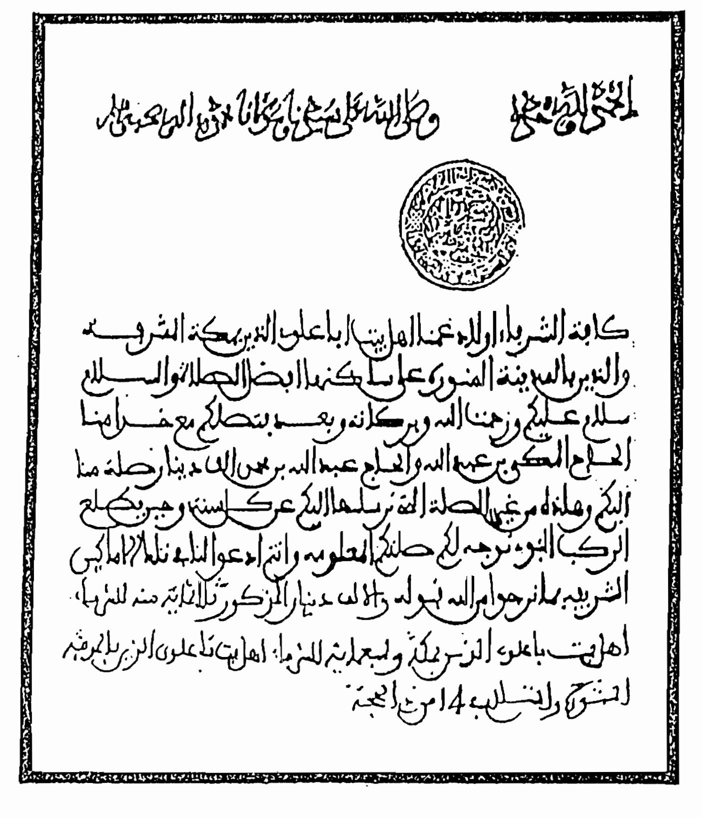
لقد اعترف هذا المغربي بأن هذا الكلام أخذ منه مأخذه، وأنه لم يتمكن هو من كتابته ولكنه اعتمد على أحد الحاضرين فنسخه له.

ثم تقدم المغربي إلى هذا الأستاذ الفتى وأخبره بأنه قدم من الحج مع الشريف محمد بن أحمد.

وهناك لقطة لابد أن تثير انتباهنا : تلك أن «المغربي» طلب إلى هذا العالم الشاب أن يجيزه، فقد دأب العلماء المغاربة من قديم على أن يطلبوا إجازات من المشايخ في المشرق على ما سنرى.

وقد عاد إليه الشيخ بافضل قبيل صلاة المغرب فأطلعه «المغربي» على ما سمع في هذا الدرس، ثم ترجاه في أن يجد له مكانا ولو بأجرة. وهنا دله على (دويرة) يتملكها رجل طاعن في السن، كان يعرف جيدا الشريف محمد بن أحمد فوجد في المغربي نعم الأنيس.

وانتهى بهما الحديث إلى النوم حتى إذا اقترب الفجر خرجا إلى المسجد على عادة الناس في المدينة. وبعد الصلاة حلق الحاضرون على الإمام ليتلقوا درسه في أحاديث (منهاج العابدين) للإمام الغزالي.



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

كافة الشرفاء أولاد عمنا أهل بيت أبا علوي الذين بمكة المشرفة
والذين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فتصلكم مع خديمنا
الحاج المكي بن عبد الله والحاج عبد الله بن محمد ألف دينار صلة منا
إليكم وهذه من غير الصلة التي نرسلها إليكم عن كل سنة مع ركب
الركب النبوي نرجو لكم صلتكم المعلومة وأنتم ادعوا الله لنا في تلك الأماكن
الشريفة بما نرجوا من الله قبوله والألف دينار المذكورة ثلاثمائة منه للشرفاء
أهل بيت باعلوي الذين بمكة والسبعمائة للشرفاء أهل بيت باعلوي الذين بالمدينة
المنورة والسلام 14 من الحجة

إحدى الوثائق الرسمية التي تعبر عن صلة العلويين الحسنيين في المغرب بالعلويين الحُسينيين في المشرق.

رسالة من ملك المغرب محمد بن عبد الله إلى أولاد عمّه هناك، وهي بتاريخ 14 ذي الحجة.

وبعد العودة إلى المنزل سأل المغربي صاحب البيت عن ذلك الشيخ ؟ فقال له : إنه (باعبيد) ممن يقومون الليل في ركعة واحدة. ولم يلبث المغربي أن ذهب عنده لداره فتعرف عليه عن كثب حيث سمع منه ما ذكره مرة أخرى فيما رواه عن والده عن أهل هذه البلدة إنهم بالملائكة أشبه. وهنا سأله الشيخ باعبيد عن والده ومتى زار تريم ؟ فأجابه بأنه زارها منذ ثلاث وثلاثين سنة. فسأله وهل دوّن رحلته ؟ فأكّد له المعلومة التي سلف أن قدمها في بداية الرحلة، وأن المخطوطة لم يعثر عليها فيما خلفه والده.

فماذا يمكن أن يخطر على البال في أمر «المغربي» الذي وصفه مؤلف كتاب «صلة الأهل» بأحد علماء المغرب ونعتته مخطوطة الحبشي بالرجل الصالح ؟ لقد ظهرت لي بعض خيوط في بادئ الأمر جذبتني معها فترة من الوقت، فلقد عرفنا من خلال هذه الرحلة أن هناك رحلة سابقة لوالد المؤلف. فهناك إذن رحلتان : رحلة هذا الولد ورحلة ذلك الوالد.

ومن خلال استعراض عابر لفهرس الرحلات المغربية، لاح لي أن أقرب من يمكن أن ينسب إليه رحلة الوالد هو محمد بن سليمان بن داود الجزولي الذي نسب له ابن القاضي في «لقط الفرائد» رحلة قبل أن يتوفاه الله عام 863=1401[18]، بيد أني لم ألبث أن استبعدت هذا الافتراض، فقد كان الرجل متصديا للتدريس بالحرمين وأدركه أجله بين أهله وبنيه هناك بمكة.

فلنرافق مصنف الرحلة لنتحسس خطواته ونقف عند أقواله عندما وجد «المغربي» نفسه في مجلس عزاء لاحظ أن العادة في تريم تختلف عنها في المغرب. فأهل الميت هناك صابرون محتسبون أما في المغرب فإن الهلع يؤدي بالأهل إلى أن يفقدوا أبصارهم. فعلا لقد تحدثت كتب النوازل الفقهية في المغرب عن هذه الظاهرة.

ورد في كتاب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب» تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس سنة 914=1509 وهو معاصر لتاريخ الرحلة أقول ورد الحديث عن اجتماع النساء للبكاء على الميت بالصراخ ولطم الخدود[19]. ولقد فوجئ المغربي مرة أخرى وهو يحضر تنصيب فقيه يؤم المؤمنين في صلاتهم بأحد المساجد الكبرى بتريم، فوجئ عندما سمع أن الأئمة هناك لا يتقاضون أجورا وأنه يكفيهم أن

تجمع عليهم كلمة المسلمين. ولم يفته أن يذكر أن الأمر في بلده المغرب على غير ما رآه في حضرموت.

والواقع أن العمل أيضا جرى في المغرب على أن يتقاضى الأئمة أجرة على ما يقومون به، وقد حفلت كتب الفقه والنوازل على الخصوص بالقضايا التي تتصل بأجرة الإمامة والإمام. وقد تحدث عن هذا كذلك الإمام الونشريسي سالف الذكر في أكثر من مكان من كتابه «المعيار»[20].

وقد قرأنا أن مصنف الرحلة المغربي يبدي رغبته في الحصول على الإجازة وهنا تذكرت إفادة جليلة عن رحالة مغربي آخر هو أبو سالم العياشي الذي لقي الشريف محمد با علوي الحضرمي بمكة عام 1064=1654 وطلب منه الإجازة، فأجازه الشيخ با علوي بما عنده عن شيخه عبد الله بن علي عن شيخ بن عبد الله، عن والده عبد الله بن شيخ عن عمه أبي بكر بن عبد الله العيدروس، عن والده وعن عمه عمر المحضار ابني عبد الرحمن الشقاف... الخ.

أضف إلى كل هذا أن التاريخ الذي تمت فيه الرحلة إلى تريم (865=1460) كان ظرفا مرشحا بالنسبة للمغاربة – للقيام بهذه الرحلة، فقد غلب التصوف في تلك الفترة من التاريخ بعد أن سقطت سبتة في يد البرتغال عام 818=1415، وبعد أن صدر قرار الباب نيكولاس الخامس بتاريخ 8 محرم 858=8 يناير 1454 الذي يخول فيه الاستيلاء على بقية السواحل المغربية[21].

وقد داعبني الشعور بأن هناك تعمدا في إغفال الرحلة لاسمه ونسبه وبلدته بل وفي إغفال التدقيق للأعلام الشخصية الواردة في الرحلة مما عبر عنه الشاطري «بالغموض والإجمال» : محمد بن أحمد – الشيخ با فضل أحمد بن أبي بكر

اقول وانا الفقير إلى الله السيد ... ابن السيد سالم الجفري باعلوي
شيخ السادة بمكة اني استلمت من فضل سيدي ومولاي
السلطان مولاي محمد ابن مولاي عبد الله رحمه الله وانعم
وادامه بحرمة سيد المرسلين ما وصل عام تاريخه ... بيد
الحاج محمد ابن عبد الله والحاج عبد الله ابن الحاج محمد [illegible]
الحمد لله المحول له من ابد[illegible] ثلاث مية وانا المستلم لها
وجعلنا [illegible]
[illegible] من عام
1195

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صلى الله [illegible] بعده
اقول وانا الحقير إليه محسن ابن علوي مقيبل شيخ السادة
آل ابي علوي بالمدينة المنورة قد قبضت يوم الاثنين
المبارك [illegible] في محرم الحرام الصلة الواصلة من مولانا السلطان
مولاي محمد بن مولاي عبد الله ايده الله تعالى وادام عزه
[illegible] الاسمعيلي من يد الحاج [illegible] بن عبد الله والحاج
عبد الله بن محمد المذكورين [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
1195

تواصيل من الأشراف العلويين بالمشرق

عما توصلوا به من العاهل المغربي في محرم الحرام 1195

- عد الرحمن با غشير - أحمد - عبد الله - الشريفة مريم - الشريفة نور بنت محمد - الشيخ با عبيد.

وثمت عنصر آخر لم يمكن إغفاله، ذلك هو تعلق المغاربة بالمشرق وخاصة بني عمهم. من العلويين. وهكذا بدا أن منشئ الرحلة من المعبرين عن ذلك التعلق بالأشراف العلويين الحُسينيين (بضم الحاء) الذين نزلوا حضرموت في نفس التاريخ تقريبا الذي نزل فيه أبناء عمهم العلويين الحسنيون (بفتح الحاء) بالمغرب[22].

هناك نقط كانت تغازلني للبقاء إلى جانب الأطروحة التي تنسب الرحلة إلى عالم مغربي بالرغم مما كان يطفو أحيانا على الأسلوب الإنشائي من كلمات عليها مسحة الحداثة مما سأكل متابعته للقارئ النبيه الذي يعيش مع أسلوب الأمس البعيد، ويمارس اليوم تراكيب تستمد من روافد أخرى غير اللغة العربية : أجدني في أنس عظيم. وددت أن يشرح لي - يا ترى هل - لعلك تعبان. حفلة التنصيب الحقيبة - الزورق، مال، المركب.

وأرجو أن أقول أيضا أنه لم يشوش على التاريخ المتأخر للمخطوطات التي تتحدث عن الرحلة، لأني افترضت أنها قد تكون نقلت من مخطوطة من عشرات آلاف التي تعج بها هناك رفوف المكتبات العامة والخاصة.

لكن كلمة واحدة في الرحلة هي التي أنهت صلاحية (تأشيرتي) لمواصلة رحلتي، كانت كلمة لا تتجاوز أربعة أحرف، هي التي كانت وراء تحولي، وليس ما نقله بعضهم بصيغة (قيل) و(يقال) من الأفعال المبنية للمجهول التي لا تتناسب ومنهاج البحث العلمي.

وحتى لا أطيل على القارئ حول هذه الكلمة ذات الأحرف الأربعة أذكر أنها لفظ (ريال). فقد ذكره منشئ الرحلة مرة باسمه وعدده بل ونعته بالأشرفي. ثم ذكره مرة ثانية عند حديثه عن السكة المضروبة في حضرموت.

إن اسم (الريال) لم ينسجم إطلاقا في وجداني مع نعت الأشرفي. ولكأنما قرأت (الدولار الأشرفي). إسم (الريال) إنما ظهر حديثا، وأن المعروف لدى سائر الذين يتتبعون تاريخ العملة سواء عند المغاربة أو المشارقة هو أن كلمة

(الريال) لم تكن قد وجدت بعد في ذلك العصر. فكيف ساغ استعمالها قبل تاريخ ميلادها بأكثر من قرنين.

وكلمة (الريال) أولا من أصل إسباني (Réal) وهو اسم أصبح يطلق في العالم الإسلامي، في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري = السابع عشر والثامن عشر الميلادي على القطع الكبيرة من العملة الفضية الأوربية التي كانت رائجة دوليا في ذلك التاريخ.

وقد أطلق (الريال) أيضا على الثالر (Thaler) الجرماني الذي توالى إصداره إلى القرن التاسع عشر، وعلى الريال الفرنسي القديم (Ecu)، وعلى السكودو (scudo) الريال الإيطالي القديم.

وفي القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر أخذ الثالر المنسوب إلى ماري ثيريز (Marie-Thérese) النمساوي مكان سائر القطع المنافسة وأصبح رائجا في منطقة البحر الأحمر، ولو أن كلمة (الريال) احتفظت باسمها وبقيمتها كذلك.

وقد ظهر اسم الريال في النظام النقدي للبلاد الإسلامية المعاصر. في نهاية القرن الماضي : الحجاز واليمن والعراق وهو الإسم الذي كان يعطى للقطع الفضية الكبيرة وقد كان شكله هو شكل ثالر (ماري ثيريز) سالف الذكر.

وفي سنة 1297-1880 ظهر ريال في السوق من قبل سلطان زنجبار. (Zanzibar) وفي بلاد فارس والبلاد المجاورة كذلك، وكان عملة يحسب لها حسابها : حيث كانت العشرون ريالا توازي جنيها إسترلينيا في بعض الأوقات.

وقد عرف في الوثائق المغربية ريال (بومدفع) وهو نقد إسباني يحمل شعار (أعمدة هرقل) التي أخذها المغاربة (1268=1852) على أنها مدفع[23]. كما ظهر ريال (بو وذن) لأنه يحمل شعار الملك الإسباني (1870م=1287هـ) أميدي (AMEDEE) الذي كانت أذنه ظاهرة في الريال وكان هناك ريال يحمل العاهلة الإسبانية إيزابيل ويسميه المغاربة ريال المرأة.

وفي النظام النقدي المغربي المسمى بالحسني (نسبة إلى الملك الحسن الأول) = (أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) كان الريال يعادل ما يسمى (دورو) عند الإسبان، ويعني القطعة الفضية التي ضربت في أوربا لحساب المغرب، وكانت توازي خمس فرنكات أو بسيطات.

أوردت كل هذه المعلومات لأبرز أكثر أن كلمة (الريال) لم يكن لها وجود هناك في القرن العاشر الهجري، ومن ثمت فإن استعمالها في مصنفات سابقة لهذا التاريخ يدعو للتساؤل.

وبعد هذا الحديث عن كلمة (الريال) لنعد إلى النعت بالأشرفي[24] إن الكلمة طبعا نسبة إلى الأشرف، فمن هو هذا الأشرف الذي قصده محرر الرحلة ؟ لاشك أن هذا المحرر كان يفكر في الأشرف إسماعيل ابن العباس الذي ولي سنة 778=1377 واستمر إلى عام 803=1401.

وقد كان من أهم ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن[25].

وأعتقد أن اختيار الأشرف هذا لتنعت به الريالات، اختيار مرتجل أيضا وأن نظرة عابرة على مصادر التاريخ اليمني، وعلى المجامع التي تهتم بالنقود

والمعاملات والسكة، لم تردد جملة واحدة فيها - حسب علمي - عبارة «الريال الأشرفي». وإنما تردد الدنانير والأواقي واللكوك[26]، ومعنى كل هذا أن هذا النعت أيضا يدعو للتساؤل.

وإذ وقفنا أمام هذه التساؤلات التي تفرض علينا اتخاذ الموقف الذي تقتضيه الأمانة العلمية، فإننا نشعر أن من واجبنا - من جهة أخرى - أن نعترف بالمجهود الذي بذله منشئ الرحلة في سبيل أن يقدمها إلينا على ما هي عليه.

فعلا كان مجهودا رائعا يستحق الوقوف عنده لأنه يعبر عن فكر خصب كما يعبر عن ثقة في النفس.

لقد كان على ذلك المنشئ أن يقرأ جيدا الفصل الخاص ببلاد اليمن من رحلة ابن بطوطة التي كانت قد ظهرت في مصر عام 1388=1871 بعد أن صدرت بباريز مصحوبة بترجمتها للفرنسية عام 1858م[27].

لماذا ابن بطوطة بالذات ؟ لأن هذا الرحالة المغربي كتب الكثير عن المنطقة عندما زار قبر النبي هود في مدينة الأحقاف بحضرموت وتحدث مثلا عن «الذرة» مرتين كمادة غذائية هناك. ومن هنا جاءت الفكرة لمنشئ الرحلة بأن يفكر في تقديم الذرة كصحن من الصحون المعروفة في حضرموت.

ونحن نتحدث عن الطعام، لابد أن نلتفت إلى كلمة (كعك) الواردة في الرحلة المغربية والتي كان لها وجود أيضا في رحلة ابن بطوطة، على نحو ما كان لكلمة (الدويرة) وجود كذلك.

ولم يكن هذا هو الاقتباس الأول والأخير من ابن بطوطة، فإن هناك اقتباسا آخر يتصل بتعلق المغاربة بالمنطقة. وتجذر تلك الصلات، فقد وجد ابن بطوطة أن هناك - منذ القدم - نقاط لقاء عديدة بين أهل المغرب وتلك الجهات[28].

وبالإضافة إلى كل هذا فإن الحديث عن سلوك الحضارمة واستقامتهم وزهدهم واكتفاءهم باليسير كل هذه لقطات لم يهملها ابن بطوطة.

ولكن هل لم يلتفت منشئ الرحلة لغير ابن بطوطة ؟ أعتقد أنه استوحى أيضا من رحلة يوسف بن عابد الإدريسي الفاسي. فقد تحدث ابن عابد عن السبب الذي دعاه إلى المجيء إلى حضرموت وأن والده رحمه الله كان وراء ذلك التوجيه. وكما تأثر «المغربي» الذي زار تريم، فقد رأينا ابن عابد هو بدوره يتأثر من تلك المجالس العلمية وإذا كان ابن عابد أشار إلى وجود بعض الأتراك في المجالس العلمية فإن منشئ الرحلة - وهو فطن جدا - كان يعرف أن الأتراك لم يحن وقتهم للوصول إلى اليمن في الوقت الذي رتب فيه رحلته.

على أن هناك ظروف عيد الاضحى وملابساته في هذه الرحلة أو تلك مما لا يخفى على القارئ الذي يقارن بين الرحلتين.

وماذا عن اختياره لكتب أبي حامد الغزالي كمادة للدرس آنذاك : أعتقد أن كاتب الرحلة كان يتوفر جيدا على ما كتبه الإمام الشلي في كتابه «المشرع الروي» الذي عرفنا بأن تآليف الإمام الغزالي كانت في صدر مراجع الإمام العيدروس علاوة على ما سجلته أيضا رحلة يوسف بن عابد. وليس من الصدفة أن يختار منشئ الرحلة إسم الجامع العتيق في تريم : مسجد بن أحمد، وليس با علوي، حتى يضفي صبغة القدم على مروياته.

وقد نجح منشئ الرحلة في رسم صورة للمناقشة كانت بين حضرموت والجهات الأخرى في اليمن وخاصة أواسط القرن التاسع، عندما كانت تسجل بعض الاحتكاكات والمواجهات على ما تؤكده نفس المصادر اليمنية.

والحديث عن «القهوة» الذي ورد مرارا كان يقصد إلى إبراز أن المنطقة كانت على ذلك العهد من هواة القهوة، ويكفي أن نعرف أن الإمام العيدروس كان من هواة هذا المشروب[29]. وبما أن «وصول» المغربي إلى تريم كان يصادف وفاة العيدروس فلابد أن يجد المدينة وهي ما تزال تحتفظ بما كان في أيام العيدروس.

ومن جهة أخرى فإن (القهوة) التي لم تكن معروفة في المغرب آنئذ، لابد أن تلفت نظر ذلك «المغربي» إليها وإلى شاربها ولابد في التالي من تكرار ذكرها. لأنها بالنسبة إليه جديدة.

وفي هذا الصدد أذكر بأنني لي مثل اليقين من أن صاحب التأليف أطلع أيضا على رحلة أبي سالم العياشي الذي عبّر عن استغرابه من تناول أهل مصر للقهوة مع أنها «ليست طعاما ولا دواء ولا مما يشتهى» على حد تعبير العياشي في رحلته[30].

وإن حديث «منشئ الرحلة» عن عادة المغاربة في نواح نسائهم على الميت. وعادتهم في أدائهم الأجر، للائمة الذين يؤمون بالناس أقول : إن ذلك الحديث استقاه، بدون شك، عن طريق قراءة كتب النوازل التي أشرنا إليها، والتي كانت منتشرة في المشرق أيضا، علاوة على ما نعرفه عن الهجرة المبكرة لبعض المغاربة من أمثال الهاشمي التونسي إلى تلك المناطق، ممن لهم صلة بباقي المهاجرة من الجهات الأخرى وخاصة منهم الحضارمة[31].

ومن المجهود المبذول من طرف منشئ الرحلة حديثه عن التاريخ الذي صادفه بتريم يوم 14 محرم 865 وكان يوافق خريف ذلك العام (30 أكتوبر 1460)، لقد كان ذكيا في اختيار ذلك التوقيت أيضا، وقدر أن موسم الحج ينتهي حوالي منتصف شهر ذي الحجة، وهو الوقت الذي أزمع فيه على الرحيل نحو حضرموت. بحيث لم يكن هناك وقت ضائع.

وقد أثار انتباهي في الرحلة ذلك (السيناريو) الذي اخترعه منشئ الرحلة ليحكي لنا قصة الشيخ أحمد بن أبي بكر الذي تناول لحم العيد فشوش على بطنه ولازمه المرض إلى أن التحق بربه.

لقد كانت القصة على العموم محبوكة بشكل مقبول، وإن منشئها ليستحق التنويه عليها وخاصة في إتقانه التعبير عن تقدير المغاربة لتلك الخصال الحميدة التي يتوفر عليها أهل اليمن كما، وإتقانه التعبير عن شعور أهل حضرموت إزاء ذلك المغربي الذي زار بلادهم على نحو ما كان ابن بطوطة الطنجي وهو يشيد بعطف اليمنيين على الغريب. وعلى نحو ما سيحكيه ابن عابد الفاسي وهو يثني على أريحية الحضارمة.

وبعد فلقد كانت «الرحلة» إضافة جميلة وفريدة لأدب الرحلات في المشرق والمغرب ولأدب (المقامات) الذي دشنه الهمداني. وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما كان يهيمن على فكر منشئها من اقتناع بما ربط بين اليمن والمغرب من أواصر تجعل منهما بلدين يثق كل منهما بالآخر وتجعلهما معا يتبادلان فيما بينهما التقدير والود بالرغم مما يفصل بينهما من مسافات شاسعة. ومن يدري ؟ فقد يكون منشئها قصد إلى اقحام كلمة (الريال الأشرفي) ليختبر القراء فيما يختفي.

الهوامش

1) العباس ابن إبراهيم : «الأعلام»، ج 5، ص 255، تحقيق : عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية 1976.

2) علي سالم سعيد بكير : رجل وكتاب : رحلة في سبيل العلم من المغرب إلى حضرموت. مجلة الحكمة - لسان حال إتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، العدد 123، السنة الخامسة عشر، يوليه 1985، صفحة 14، 20، صنعاء، عدن.

3) تقع مريمة على مقربة من مدينة سيؤن، وقد أنشئت على مقربة من ضريحه مدرسة للمعلمين، حيث ترحمت عليه صباح عودتي من حضرموت، الأحد 1992/9/13.

4) رددت الزميلة فاطمة خليل في أطروحتها : «الرحلة في الأدب المغربي» لنيل دكتوراه الدولة بجامعة محمد الخامس 1408/1407-1987/1988 رددت بعض ما كان صدر عن تلك الرحلة في بعض المجالات. وقد قام بتحقيقها أخيرا د. أمين توفيق الطيبي بعد أن رأى، ولا أدري كيف وافقته زوجته على ذلك ؟ رأى إسقاط مقدمة من 27 صفحة يتناول فيها المؤلف سيرة الإمام إدريس الأكبر وخروجه إلى المغرب أيام هارون الرشيد وقيام الأدارسة في المغرب وانتسابه إليهم. كما يتناول فيها المؤلف الحديث عن القبائل في بلاد أنقاد كأولاد طلحة بن يعقوب والأحلاف، كانت هذه المعلومات في نظرنا لا تقل إن لم تَفُق أهمية عن رحلة ابن عابد الذي كان يقصد - دون شك - إلى إثراء معلوماتنا عن الدولة الإدريسية التي أسدت إلى المغرب معروفا لا يجهله الأستاذ الطيبي والسيدة زوجته، هذا إلى إسقاط أقارب ابن عابد. وقد نشر هذا التحقيق والتقديم والتعليق من لدن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء رقم الإيداع 1988-815.

5) نشر هذا البحث من قبل مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء بمجلته عام 1400-1980. كما نشر بمجلة (البحث العلمي) ذو الحجة 1401=نونبر 1981.

6) اغتنم هذه الفرصة لأجدد شكري لكل الذين ساعدوني لتحقيق هذه الأمنية بعد انتهاء أعمال الندوة الدولية لحماية المخطوطات اليمنية، التي انعقدت بدار المخطوطات، صنعاء القديمة، جوار ا لجامع الكبير فيما بين 9/7 شتنبر 1992. وأخص بالذكر سعادة الأستاذ با فقيه، رئيس الهيأة العامة للأثار والمتاحف والمخطوطات ولنائبه الدكتور يوسف فضل... والسيد الوكيل وكذا لرفيقي في الرحلة الأستاذ عبد المالك المقحفي.

ولابد لي أن أذكر بتقدير كبير عناية الزميل الأستاذ أحمد الإدريسي سفير صاحب الجلالة، والسيدة الفضلي حرمه.

7) عبد الله محمد الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء (بدون تاريخ)، ص 365-366.

8) عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاق الشهير بالعيدروس، يكنى أبا محمد : ترجم له الشلي با علوي في الجزء الأول من كتابه «المشرع الروى في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي»، ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة إحدى عشر وثمانمائة، وقد سماه أبوه عبد الله ولقبه العيدروس بمعنى الأسد، قال بحرق، الأصل العيتروس فلعل التاء أبدلت دالا لاتحاد المخرج. نشأ بمدينة تريم ومات والده فقام بتربيته عمه عمر المحضار وزوّجه بابنته. أخذ عن عمّه علوماً عديدة كما تفقه منهم الشيخ عبد الله باغشير، وسمع الحديث على خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحجاز. قدم نقيبا على بني علوي وهو ابن خمس وعشرين سنة. كان ملازما لقراءة «إحياء علوم الدين» ومطالعته حتى كاد أن يحفظه ! محمد بن أبي بكر الشلي با علوي، «المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي»، طبعة أولى، عام 1319، ج 1، ص 153.

9) لم أقف على ترجمة للشيخ جمال الدين هذا فيما أتوفر عليه من مصادر يمنية، فهل القصد إلى جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بابن علي بافضل المولود بتريم والذي تفقه وتصدر للتدريس بعدن حيث أدركه أجله عام 903=1414، ابن الزركلي ..6، ص 232.

10) علي بن محمد بن حسين الحبشي (ت 1333-1915) من وجوه العلويين في حضرموت له نظم، وقد ذكر في تاريخ الشعراء الحضرميين. هذا ويضبط الشيخ عبد الحي الكتاني الحبشي بكسر الحاء وسكون الباء. وقال : أن الحبشي لقب لأحد بيوتات بني علوي اليمنيين، وكذا وردت بالكسر في كتاب نيل الوطر. وكذا سمعت الزميل عبد الله الحبشي ينطق اسمه ويصحح ذلك لمن ينطقها بفتح الحاء والباء) وقد تردد ذكر علي الحبشي هذا عند الكتاني في كتابه «فهرس الفهارس والإثبات»، ص 130-503-694. أنظر هذا الكتاب طبعة دار الغرب الإسلامي باعتناء، د. إحسان عباس، بيروت، لبنان سنة 1402=1982.

11) يعتبر العطاس هذا من أعيان العلويين في حضرموت. جمع مكتبة لا نظير لها في بلاده، وكان مسموع الكلمة عند القبائل، وعلى يده عقد الصلح بين الدولة القعيطية والقبائل الدوعنية، وقد أملي «وصايا» و«إجازات» ورسالة «القبائل الحضرمية» وقف على كتاب : «عقود الألماس بمناقب الإمام أحمد بن حسن العطاس». راجع عبد الله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص 462.

12) حذام : امرأة في الجاهلية من العرب اليمانية يضرب بها المثل في حدة البصر وصدق الخبر وتلقب بزرقاء اليمامة، وفيها قيل أبصر من زرقاء اليمامة، وقال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام !

13) الجزء الثاني، ص 63، مكتبة الإرشاد بجدة، طبعة بيروت.

14) المصدر السابق.

15) لقد جرفتني هذه المعلومة في بداية الأمر إلى التفكير في أن القصد بأحد الأشراف إلى السيد الطاهر بن عبد الله الإدريسي الذي نجد له ذكرا في المصادر اليمنية التي تحدثت عن أيام محمد المؤيد بالله، وهي تقول بالحرف : وصل في أيامه، رضوان الله عليه، السيد الجليل العالم النبيل الطاهر بن عبد الله الإدريسي من بلاد المغرب الأقصى. فاستدعى مولانا الحسن عليه السلام وصوله إلى مقامه وعرف ما عنده من فنون العلم وأنه من أهل بيت ملك. فقربه كثيرا وأقام عنده أياما. وأرسله مع بعض خواصه إلى الإمام عليه السلام. وقد أعطاه الإمام عطاء جزيلا وكتب معه دعوة إلى المغرب الأقصى ت.د.م.، جزء 8، ص 80.

16) محمد بن هاشم بن عبد الرحمن. بن طاهر العلوي، ولد بحضرموت وتلقى علومه على جماعة من شيوخ تريم. وقد رحل إلى جاوة عام 1325-1907 وساهم في تحرير صحفها، وتزعم البعثة المرسلة إلى مصر سنة 1344-1925 ثم عاد إلى مسقط رأسه وأحيى بعض الندوات والجمعيات، وقد أدركه أجله سنة 1380-1961.

عبد الله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صفحة 469.

17) ترجم الشيخ خير الدين الزركلي لابن شهاب هذا في «الأعلام»، ج 2، ص 214. قال عنه : إنه جاهر بأراء كان ينشرها في الصحف المصرية كالمؤيد والمنار والصحف الحضرمية كمجلة الإمام، وجريدة الإصلاح الصادرة في سنغفورة. ويقول عنه : إنه كان عنيفا في جدله كثير النقد للشيوخ فكثر خصومه من أصل تريم وغيرها. ويضيف الزركلي إلى هذه المعلومات أن كتابه «الانصاف بين الصلة والاتحاف» نسبة إلى أحمد فهيم صدقي الدسوقي الأزهري، ويختم ترجمته بأن له أيضا كتاب «الرقية الشافية في الرد على النصائح الكافية» وأن له شعرا في بعضه جودة.. انظر «تاريخ الشعراء الحضرميين» لعبد الله بن محمد بن عمر السقاف، جزء 5، صفحة 32/23.

علي سالم سعيد بكير : رجل وكتاب، رحلة في سبيل العلم إلى حضرموت، مجلة الحكمة، عدد 123، يوليه 1985.

18) هذا عالم من سوس انتقل إلى مكة فكان من أعلام المدرسين بها وليس هو الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الجزولي مؤلف «دلائل الخيرات» المتوفى عام 869. ابن القاضي : «لقط الفرائد»، تحقيق محمد حجي – مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1396-1976.

العباس بن ابراهيم، «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام»، ج 5، ص 40، المطبعة الملكية، الرباط 1976.

19) «المعيار»، الجزء 6، ص 419، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية 1401-1991م.

20) انظر، ج 1 من «المعيار»، ص 221، ج 7، ص 138-139-473-478.

21) التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»، ج 7، ص 233، رقم الإيداع القانوني 1986/25 – مطابع فضالة المحمدية، المغرب.

22) ترجم أبو سالم العياشي في رحلته (2، 89) لشيخه السيد با علي نقلا عن (بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي الفاخر) فقال : محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن علي ابن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب والزهراء البتول بنت المصطفى ﷺ – ابن عابد : ملتقط الرحلة.

وقد تولت المصادر المغربية الأخرى التأريخ لنسب العلويين الحسنيين. التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»، ج 9 – ص 10.

23) من رسالة السلطان مولاي عبد الرحمن بتاريخ 14 ربيع الثاني 1268-6 يبراير 1852 : «وها نحن جعلنا. للريال ذي المدفع عشرين أوقية وللذي لا مدفع فيه تسع عشرة أوقية وللبسيطة التي بالمدفع خمس أواق وللتي لا مدفع لها أربع أواق.

الناصري : «الاستقصا»، طبعة البياء 1956، ج 9، ص 64.

التازي : (العملة ودور السكة بالمغرب)، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، عدد 4 نونبر 1987.

24) وردت كلمة الأشرفي عند الربان المعروف شهاب الدين بن ماجد في قصيدته السفالية :

وكل ضرب الأشرفي منه فلا تسل من بعد ذاك عنه

التازي : (ابن ماجد والبرتغال) : مجلة البحث العلمي، عدد 36، 1986.

25) علي الخزرجي : «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية»، تصحيح محمد بن علي الأكوع الحوالي : مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، طبعة ثانية 1983.

26) اللكوك : جمع لك وقد تولى الرحالة المغربي ابن بطوطة تفسيرها عندما كان بمدينة سيوستان. فقال : إنها مائة ألف دينار، وبهذا يرتفع إشكال أستاذنا محمد الأكوع في تحقيقه لـــ «قرة العيون» لابن الديع، القسم الثاني، ص 116، تعليق 4، مطبعة السعادة، صنعاء.

27) وقفت في مكتبة الأحقاف على طبعة لابن بطوطة لم أقف عليها في جهة من الجهات ويتعلق الأمر بطبعة ثانية لرحلة بن بطوطة تمت عام 1322-1904 على نفقة الشريف مولاي أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي (مطبعة التقـــدم، شارع محمد علي بمصر)، وكانت الطبعة الأولى بمطبعة وادي النيل 1388-1871. وقد طبع الشريف القادري هذا – على ذمته – كتبا أخرى بالمطبعة الحجرية بفاس : «مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي» وطبع عام 1322، «كشف الأسرار عن علم الغبار»، للإمام القاصدي، طبع 318.

28) التازي : (الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان)، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، غشت 1981.

29) التازي : (ابن ماجد والبرتغال). مجلة البحث العلمي «العدد 36، صفحة 60، سنة 1406-1986، التعليق 63.

30) رحلة العياشي 2.

31) في حديث أدلى به د. محمد الهاشمي التونسي لجريدة (المقطم) 14/13 شتنبر 1929 بمناسبة عودته من جاوة لبلاده تونس، ذكر أن عدد الحضارمة الموجودين هناك يربو على ثلاثين ألف نسمة، وقد وصفهم بالذكاء والنشاط والصبر ولو أنه واخذ عليهم القطيعة فيما بينهم الخ... والحديث يدل على أن هذا المغربي كان على صلة قوية بمهاجرة حضرموت.

التازي : «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»، ج 7، ص 311.